

# الفصل الأول

## عصر النهضة الأوروبية

عصر النهضة وصف يطلق على تلك الحقبة التي نشطت فيها حركة أحياء العلوم والمعارف والآداب والفنون في إيطاليا ثم انتقل منها ببطء إلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا والأراضي المنخفضة وأسبانيا ثم إلى بقية دول أوروبا . ويرجع بداية ظهور عصر النهضة في إيطاليا إلى عدة أسباب من أهمها :

١ - موقع إيطاليا الجغرافي ، وسيطرتها على أسواق التجارة في البحر المتوسط ساعد الإيطاليين على أن يكونوا على اتصال وثيق بأقدم الحضارات وأعرقتها .

٢ - ما خلفته الإمبراطورية الرومانية من الكنوز الدفينة من الآداب والعلوم هذا إلى جانب تراث روما السياسي القديم عندما كانت موطنًا للإمبراطورية الرومانية القديمة .

٣ - تواجد مقر البابوية في إيطاليا والمتمثل في البابا وكرادته وسيطرته الدينية والدينية ، جعل الإيطاليين يشعرون بسيطرة بلادهم الدينية على باقي جهات أوروبا .

٤ - تأثر الإيطاليين بالثقافة العربية الإسلامية ، واقتباس الكثير منها لاسيما في مجال العلوم الرياضية والفنون .

٥ - الهدوء النسبي الذي تمتعت به إيطاليا وبخاصة في القرن الخامس عشر الميلادي فبينما كانت الدول الأوروبية تخوض حروبًا واسعة فيها بينها كانت إيطاليا تنعم في رحاء وسلام مما مكن أثناءها من التفرغ للبحث والاطلاع والاندفاع بعجلة التطور إلى النمو والازدهار .

٦ — بروز العديد من الفنانين العظماء الذين تشربوا هذه الروح الجديدة واستطاعوا أن يجسموها في إنتاجهم ، ويعبروا عنها في أعمالهم ، وقد حاول كل من هؤلاء الفنانين الاسهام في تمثيل جانب من جوانب فن النهضة وبذلك صار رائدا من روادها .

٧ — اعتماد التنافس بين المدن الإيطالية ، جعلها تتسابق في المجالات الأدبية والفنية ، مما شجع القرائح على الإبداع في شتى المجالات وانجبه كوكبة من العلماء والفلاسفة والادباء والمفكرين .

٨ — توفر بعض المطابع في المدن الإيطالية ساعد على انتشار الفكر والثقافة .

٩ — وجود العديد من المخطوطات الاغريقية واللاتينية في المكتبات الإيطالية ، وتملك بعض المثقفين الإيطاليين لزام هاتين اللغتين مكنهم من فك طلاسم كثير من المخطوطات والتعرف على محتوياتها .

١٠ — اتساع النشاط الفكرى بين الإيطاليين ، وقلة الحواجز الضيقة بينهم جعل لإيطاليا تصب السبق في تبني النهضة الأوربية .

وعلى كل حال فقد اتخذت النهضة الأوربية في بداية أمرها أشكالا متنوعة اختلفت مظاهرها من بلد الى آخر ففى إيطاليا اتخذت مظهرا فنيا وثقافيا وعلميا وأدبيا ، كما تمثلت في الانغماس في اللهو والملذات والترفيه .

وفي المانيا كان مظهرها الإصلاح الدينى . وفي فرنسا وجه الادباء جل اهتمامهم الى الإبداع القصصى والتحليل النفسى ، وتحقق لمؤلفات القديمة ، والتعليق عليها وفي بريطانيا برز الاهتمام بالمرح والأدبيات ، وكان من أبرز أدائها ولريم شكسبير .

أما في إسبانيا والبرتغال فقد تغنى الأدباء بالفروسية ، وبالصفات التى يتحلى بها الفارس .

ومع كل ذلك فانه يمكن القول بأن لعصر النهضة سمات عامة ومظاهر تعبر عن روح العصر بأكمله .

وعن بوادى النهضة فى ايطاليا فقد بدأ المفكرون والمثقفون يهتمون ببعث واحياء الدراسات الاغريقية واللاتينية واتخاذها مصدرا للالهام والوحى ، فدرسوا مؤلفات أرسطو وسقراط وفرجيل ووضعوا القواميس التى تساعد على تفهمها كما بدأوا فى النقيب عن المخطوطات والآثار والاستفادة منها ، وقد عرف هؤلاء باسم الانسانيين Humanists لأنهم صوروا الحياة الانسانية بصراحة وصدق ، وكان حبههم للثقافة واضحا وكان من أبرز هؤلاء ، الايطالى بترارك الذى أعجب بالطبيعة وتذوق مناظرها الجميلة التى تؤثر فى الانسان والذى كرس حياته لدراسة اللغة اللاتينية باعتبارها لغة الادب الرفيع التى عرفت أيام قيصر ووشيرون ، وكتب بها بعض قصائده كقصيدة أفريقيا التى تحدث فيها عن الحروب بين روما وقرطاجنة ، واستمر فترة من الزمن لا يقرأ مؤلفات دانتي المكتوبة بالايطالية حتى لا يتأثر بها ويقلده فى الكتابة بتلك اللفة .

وقد مثلت كتابات بترارك روح عصر النهضة فشاعت عنه أفكارا جديدة منها ضرورة أن يهتم الناس بحياتهم الدنيوية ، ومنها نقده للكذسة ، ومطالته باقامة وحدة سياسية بين الولايات الايطالية ، حتى تصبح أمة قائمة بذاتها وبعيدة عن نطاق الامبراطورية . ومنها دعوته للأمرء ورجال السياسة فى ايطاليا بالكف عن منازعاتهم . ومنها أيضا كراهيته للحكم الاستبدادى المطلق .

ومع أن البعض مثل « كولاى رينزى » قد حاول وضع آراء بترارك السياسية موضع التنفيذ اثناء حركته التى حاول بها توحيد ايطاليا وجعل روما العاصمة للجمهورية الايطالية الحديثة ، الا أن هذه الحركة لم يتحقق لها النجاح ولم تتحقق أفكار بترارك على بساط الواقع فى حياته .

وعن النهضة الفنية فقد تجلت فى أبرز مظاهرها ومعانيها فى ايطاليا حيث برع الايطاليون فى دراسة الفنون الجميلة والتصوير واهتموا بالآثار القديمة واخذوا فى محاكاتها والارتفاع بمستواها مع مسابقة روح العصر الذى يعيشون فيه فمدب فى الفنون الكثير من روح التغيير وتحرر الكثير من الفنانين من قيود التقاليد واتجهوا الى الاسراف فى الاهتمام بأمر الدنيا بصراحة بالفة والارتفاع بمستوى الفنون فأخرجوا انتاجا فنيا مليئا بأحسيس الناس ،

كما صوروا الطبيعة وعبروا عنها تعبيراً فنياً رائعاً ، وقد ساعد على تطور هذه النهضة الفنية العديد من الحكام والامراء الذين تباروا في رعاية الفنون وتنافسوا على امتلاك العديد من النفايس الفنية مما مهد الطريق امام الكثير من الفنانين الذين اُماطوا اللثام عن جمال آثار الماضي ، ونهضوا بالفنون امثال « ليوناردو دافنشى » و « ميخائيل انجلو » و « رافائيل » . وغنيما يلى نعرض لهؤلاء ودور كل منهم في النهضة الفنية .

١ — ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci ١٤٥٢ — ١٥١٩

ولد دافنشى في بلدة فبشى الجبلية في ١٥ من ابريل ١٤٥٢ م وامتاز بتعدد ملكاته واتساع ثقافته ، فقد برع في الطبيعة والميكانيكا وفي تصميم آلات الحرب والنحت والرسم والتصوير والمعمار وعلم وظائف الاعضاء والرياضة والادب وعلوم الطبيعة وعلم التشريح والجغرافيا . هذا الى جانب كونه موسيقيا وشاعرا ، مما دفع البعض الى وصفه بأنه كان موسوعة علمية ضمت شتى العلوم التطبيقية .

وقد اُحتمل دافنشى المشاق في سبيل البحث عن الحقيقة العلمية دون كلل أو ملل .

كما امتاز فنه بالعمق والبناء الهندسى والرقّة . هذا الى جانب القدرة على التعبير عن بكون النفس البشرية .

ومن اعظم اعمال دافنشى صورتيه الشهيرتين :

عذراء جروتو Virgino the Grotto احداهما في متحف

اللوفر في باريس ، والاخرى في المتحف الوطنى في لندن ، وصورة العشاء الاخير Last Super في كنيسة سانتا ماريا في ميلانو ، والتي دل غيبيا على ابداعه . وتعمقه في ادراك النفس البشرية وانفعالاتها وردود أفعالها وذلك في المنظر الرائع الذى جمع المسيح وحوارييه الاثنى عشر — على مائدة وضع عليها الخبز واقداح الشراب . وهو يعلن لهم أن أحدهم سوف يخونه وقد ظهر وجه المسيح بصفائه الروحانى وهدوئه في حين كانت صورة الانزعاج تبدو على وجوه أتباعه .

ولدافنشى أيضا رائعتة الشهيرة « موناليزا » أو « الجيوكوندا » في متحف اللوفر في باريس وهى صورة لسيدة شابة جميلة كانت زوجة لضابط يكبرها سنا اسمه « فرانشيسكو جيوكوندا » وكان هذا الضابط قد أصيب في رجولته أثناء الحرب مما جعله غير قادر على ممارسة الحياة الزوجية معها مما حرمها متاع الزوجية في ربيع حياتها ويبدو أن هذه المرأة قد راق جمالها لحاكم نلورنسا .

وقد قام دافنشى بوضع كل طاقاته وامكانياته ومواهبه الفنية خلال رسمه لهذه الصورة التى استغرقت منه أربع سنوات ١٥٠٢ - ١٥٠٦ م فخرجت معبرة عما تحمله موناليزا من مشاعر دفيئة وعواطف عميقة حزينة ووداعة ممزوجة بجاذبية نادرة .

وتعد الموناليزا أشهر الانجازات الفنية لدافنشى .

وهذه اللوحة لا تزال موضع إعجاب الكثيرين حتى الآن ينبهرون روعتها ، ويصر بعضهم على ان فيها سحرا غامضا يتمثل في تلك الابتسامة الغامضة التى تحمل سرا كامنا في نفس صاحبها ويسعى حاليا الهواة من الاثرياء لاقتنائها ، كما يسعى اللصوص لسرقتها ولكنها ما زالت محفوظة في متحف اللوفر في فرنسا حيث شاهدها ويشاهدها الملايين من الناس .

والى جانب ذلك فقد ترك دافنشى بعض مؤلفاته التى تدل على موسوعيته وسعة علمه وتعدد مواهبه ومن هذه المؤلفات « كتاب التصوير » الذى تحدث فيه عن التصوير وفنونه ، و « مذكراته » التى تناول فيها بحوثا في التشريح والجيولوجيا والنبات والميكانيكا وغيرها .

وقد توفى دافنشى في عام ١٥١٩ م ، بعد أن دفع النهضة الفنية في بلاده خطوات رائدة ، ووضع بصماته في صنع عصر كامل الا وهو عصر النهضة الإيطالية .

فكان عبقرية جامعة ينذر أن توجد مثلها موهبة تمتلك كل تلك المالكات والمهارات التى امتع البشرية بها .

٢ — مايكل أنجلو Michelangelo ( ١٤٧٥ — ١٥٦٤ ) .

وعن مايكل أنجلو فإنه يعد من أبرز رواد النحت في عصر النهضة حيث طغت أعماله الفنية على جميع أعمال معاصريه ، وخاصة وأنه مزج في فنه بين الآراء الأفلاطونية المحدثه وتعاليم سافونار رولا وروح دانتي ، وإلى جانب ذلك كان متعدد الثقافة واسع الأفق .

فقد نظم الشعر وبرع في التصوير وهندسة البناء ، واشتهر بوفرة إنتاجه الفنى ، الذى اعطاه طابعا من الألم والقوة والبرقة والجمال والسمو فى آن احد .

ومن أشهر أعماله نحته للمجموعة الرخامية الشهيرة التى تمثل العذراء والطفل واتهامه مبنى كنيسة القديس بطرس فى روما .

وقيامه بعمل تمثال موسى عليه السلام فى روما الذى يعد من أعظم أعماله وقد أظهر فيه بوضوح قوة العضلات وقبضة اليد وجمال اللحية وملامح الوجه التى بدأ عليها الغضب والألم والانفعال لما حاق بشعب اسرائيل من العذاب لدرجة أن وصفه البعض بأنه أروع آيات الفن فى الصلالم وبها يقال عن أنجلو بعد نحته لهذا التمثال انه صاح به أن ينطق ثم سقط مغشبا عايه .

والى جانب ذلك قام أنجلو بنحت تمثال داود من الرخام وقد نصب هذا التمثال امام قصر امارة فلورنسا .

كما قام بنحت ورسم سقف كنيسة بالفاتيكان ، هذا بالإضافة الى رسمه للعديد من اللوحات الحائطية التى يقدر عددها ما بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ لوحة . وقد عبر أنجلو فى تماثيله عن روح العصر الذى عاش فيه ، واستمد فنه من الظروف المهيئة أمامه ومن المعانى التى أحسها بنفسه ، وكرس له كل وقته لدرجة أن كان يعمل معظم وقته وهو مستلقيا على ظهره فوق منصة عالية حتى أخرج للبشرية فنه الرائع الذى أحبه لدرجة العشق .

وقد توفى مايكل أنجلو فى عام ١٥٦٤ م بعد حياة فنية حافلة ، ودفن فى إحدى كنائس فلورنسا .

٢ - رافائيل Raphael ( ١٤٨٣ - ١٥٢٠ ) :

يعد رافائيل ثالث العمالقة الكبار في فن النحت والتصميم والرسم .  
تمتد دروس أعمال دافنشى ومايكل انجلو وتلقى الكثير عنهم في أثناء وجوده في  
فلورنسا ، كما استفاد منهم في أعماله الفنية ، فقد استفاد من دافنشى طريقة  
توزيع الضوء والظل في لوحاته ، كما تأثر بعبقريّة مايكل انجلو في توضيحه  
لمعالم الجسم الانسانى ثم فاقهما في الابتكار والابداع واختلف عنهم في بعض  
الاحيان وقد رسم رافائيل لوحات عديدة للعذراء مريم . كما  
قام بنزيب قاعات الفاتيكان وزخرفة بعض غرفه والى جانب ذلك  
له روائع فنية أخرى تدل على عبقرته مثل « مدرسة اثينا » و « السر  
المقدس » الذى لخص فيه تاريخ الكنيسة .

وقد توفى رافائيل في عام ١٥٢٠ عن سن لا يتجاوز السابعة والثلاثين  
من عمره بعد أن ترك إنتاجا ضخما في ميدان التصوير والعمارة . وعلى كل  
حال فان دافنشى وانجلو ورافائيل يشتركون معا في ابراز معالم النهضة  
الفنية في ايطاليا لدرجة جعلتها في طبيعة ما قدمه الفنانون للبشرية من ابداع  
فقد أخرجوا لها انتاجا فنيا افتخرت به العديد من الأجيال وعدته نبراسا لها  
في محاكاته .

يضاف الى ذلك أن عصر النهضة حفل بالعديد من المفكرين الذين طرحوا  
مفكارهم وآراءهم في شتى ميادين الحياة وفي الفكر السياسى وأصول الحكم  
وكان من أبرز هؤلاء نيقولا ميكافيللى ، ودانتى وفيها يلى نعرض لأبرز  
أعمال كل منهما .

أولا : نيقولا ميكا فيللى Niccolo Machiavelli ( ١٤٦٩ - ١٥٢٧ ) :

ولد ميكا فيللى في فلورنسا في مايو ١٤٦٩ م من عائلة نبيلة ، وعاش  
زمن سافونا رولا وآل مديتشى .

وقد درس ميكا فيللى العلوم السائدة في عصره فتعلم اللاتينية ودرس  
الآثار الرومانية واليونانية ، وكذلك التاريخ ثم برز اهتمامه في الدراسات

السياسية والتاريخية فقرأ السياسات لأرسطو ، وقرأ خطب شيشرون وكتبه السياسية كما قرأ الألياذة لفرجيل ، وكان حريصا منذ صباه على تثقيف نفسه ثقافة تاريخية وسياسية .

وقد خدم ميكا فيللى فى حكومة فلورنسا لمدة ١٨ سنة وخلالها كلف بعدة مهام دبلوماسية .

ولقد اشتهر ميكا فيللى فى عالم السياسة بمؤلفه الشهر « الأمير » الذى كتبه عام ١٥١٣ م وأهداه الى حاكم فلورنسا لورنزودى مديتشى 'Lorenzo de Meedici

كما برزت آراؤه السياسية أيضا فى كتابه المسمى « المقالات أو الخطط»

وبالنسبة لكتاب الأمير فقد استمده من ظروف ايطاليا المضطربة ، وهو عبارة عن آراء ونصائح للحاكم لكى يخرج ايطاليا من الفوضى الى حياة الاستقرار وقد صور فيه أميرا وطنيا يستطيع انقاذ ايطاليا من الانقسام الذى تعانىه ويتمكن من توحيدها والقضاء على الغزو الخارجى الذى يهددها . وأن يتبع من أجل تحقيق هذه الاهداف مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، فدعا الى تركيز السلطة فى يد حاكم قوى فى فترة مؤقتة تنتهى الى الحياة الديمقراطية وقد ابرز ميكافيللى فى كتابه عدة نظريات سياسية منها أن خير حكم يرجوه لبلاده هو الحكم الاستبدادى المستنير الذى لا يعبأ بالأخلاق أو المثل اذا كانت ستقفه عقبة فى طريق النجاح وأن يجب الفصل بين الاخلاق والسياسة ، لأن السياسة لا مكان فيها للأخلاق ، ولا ممانع للحاكم . من استعمال البطش والخداع من أجل تحقيق الاهداف السياسية العليا للبلاد ، ومن أجل اقرار الأمن ، ومنع الفوضى والاضطراب وضرب مثلا على ذلك بقوله اذا وجد قاطع طرق يعيث فى الأرض فسادا أو يعتصم فى منطقتة نائية فلا غبار مطلقا على الحاكم الحريص على مصلحة شعبه من أن يؤمن هذا اللص ويتعهد له بالمحافظة على حياته ثم يغدر به « .

كما أوضح ميكافيللى أن معظم الناس أشرار يخلفون العهود لذلك يجب على الحاكم أن يتخذ نفس هذا السلاح فلا يحافظ على العهود والمواثيق ، وقواعد الأخلاق والدين ، بل يجب عليه ، أن يتخذ كل أسلحة الغدر والشر ، والمبادئ المنافية للأداب الإنسانية لاقرار الأمن في المجتمع ، وطالما أنه غير مجبر على تنفيذ وعوده فلا داعى لأن يقوم بتنفيذها ، وعلى الرغم من ذلك فان ميكافيللى ينصح الحاكم بأن يحاول دائما أن يكسب ثقة شعبيه وصداقته لأنه الملجأ والملاذ في أوقات الشدائد .

والكتاب أيضا يشتمل على دراسات لتجارب الماضى والحاضر فيتطرق الى الحكم اليونانى والامارات الايطالية منذ العصور الوسطى وحتى عصر النهضة وبه ارشادات يقدمها للأمير كى يستفيد منها في أثناء حكمه ، فتنصحه بأن يعمل لخير شعبه حتى يأمن كراهيته ، وفي نفس الوقت يكون طاغية وغادرا حتى يستطيع الاستمرار في حكمه ، ويرهبه الناس ويخشون بأسه ، ولما كان المال ضروريا لاستمرار الحاكم في منصبه ، فقد رأى ميكافيللى ضرورة توفر المال لدى الحاكم حتى يستطيع تدبير مصالح شعبه ، في حين كان يرى أن يظل الشعب محدود الثروة حتى يتحفز للعمل والانتاج ورفع مستوى معيشته ، لأنه لو توفر لديه المال يركن الى الكسل والخمول .

وعلى الرغم من دفاع ميكافيللى عن استبداد الحاكم لشعبه فقد كان يرى ان الحكم الجمهورى الديمقراطى والحرية السياسية هما المثل الأعلى للحكم عنده .

ونادى ميكافيللى بتوحيد ايطاليا وطرد البرابرة الذين اعتدوا عليها في الشمال ، وطالب بضرورة تكوين جيش قوى يستطيع حماية الأمن الداخلى ، وحذر من الاعتماد على جيوش دول أجنبية في الدفاع عن الوطن ، أو الاعتماد على جنود مرتزقة لأن هؤلاء لا يقاتلون بحماس في سبيل قضية يدافعون عنها بل ان هدفهم هو جمع المال فحسب ، وكثيرا ما ينقلبون على مستأجريهم ويعيئون في بلادهم فسادا ، وقد ضرب العديد من الأمثلة على ذلك ومنها أن الجمهورية المسلحة التى يدافع عنها أبناؤها يكون خضوعها للأجنبى أصعب من خضوع الجمهورية المحمية بجيش مأجور من المرتزقة .

و طالب ميكيا فليلي الأمير بالألا يكون جاهلا بفنون الحرب حتى يظل محترما من جنده وأن يكون محاربا قادرا على احتمال الشدائد محتقرا للمآكل والمتعة وسائر أنواع القرف حتى ينال محبة جنده ومواطنيه (٤) .

وينصح ميكا فيللي الأمير بان يختار رجاله ومعاونيه من أصحاب المواهب العقلية الذين يصدقونه النصح حتى يصبح حكومته مثالية ويلتف حولها الشعب .

يضاف الى ذلك انه نسب الى البابوية كل المصائب التي نحتت بايطاليا .

ومما يؤخذ على كتاب ميكا فيللي انه ركز مقومات الدولة في دعابتين هما الجيش والسياسة وأغفل مقومات مهمة أخرى مثل الدين والاقتصاد والثقافة .

يضاف الى ذلك أنه سخر من الأديان بقوله « ان وضع دين جديد أمر سهل وميسور » كما انه كان متشائما حين تغافل عن المقومات الانسانية واخضع كافة الأمور ، للسياسة ، وحين طالب الشعب بأن يكون أداة مسخرة في يد الحاكم .

ومما سبق يتضح أن ميكا فيللي كان مؤرخا بلا قلب فقد بلور افكاره في كتابه الأمير كما يلي :

١ — أن يفصل الحاكم بين السياسة والأخلاق القويمة .

٢ — أن يتخذ الحاكم كل الاجراءات اللازمة للوصول الى غايته ولا مانع من استعمال البطش والخداع والمواربة من أجل تحقيق أهداف بلاده .

٣ — أن توحيد ايطاليا والدفاع عنها يلزمه بناء جيش قوى من الايطاليين أنفسهم ، والابتعاد عن استخدام المرتزقة من الجنود .

---

(٤) نيقولا ميكافيللي : كتاب الأمير — تغريب محمد لطفى جمعة ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩١٢ ص ١٣٧ .

٤ — ضرورة فصل الكنيسة عن الحكومة حتى يمكن توحيد ايطاليا

ونتيجة لذلك ظلت الميكافيلية لمدة تزيد على الأربعة قرون عالقة في ذهن العالم على أنها مرادفة لشيء شيطاني وخبيث ، كما ظل ميكا فيلي رمزا شهيرا للسياسى المتآمر والمكر والمنافق المجرى من الاخلاق والعديم المبدأ والمستهتر والذى تنحصر كل فلسفته في ان الغاية تبرر الوسيلة ، واصبح كتاب الأمير ضروريا للطغاة كى يعلمهم كيف يحصلون على السلطة ويحتفلون بها .

وقد نقلت افكار ميكا فيلى الى لغات عديدة منها العربية فقد عرفت مصر كتاب الأمير — أول ما عرفته في عصر محمد على حيث قام بترجمته — ترجمة ركيكة صعبة الفهم — مترجم سورى هو الأب انطون رغانيل زاخورة (٥) بناء على أوامر محمد على .

والجدبر بالذكر أن محمد على بعد أن قرأ الكتاب (٦) في عام ١٨٢٨ قال عنه « اعترف بأننى قد وجدته أقل بكثير مما كنت أتوقع ، ومن الشهرة التى له » .

وفي بدايات القرن العشرين عرفت مصر الترجمة الثانية لهذا الكتاب قام بها الاستاذ محمد لطفى جمعه ، وقد طبعت في عام ١٩١٢م وأسويها أكثر دقة ووضوحا وأقرب الى الفهم من أسلوب الترجمة الأولى .

أما عن كتاب « الخطط » فقد وضع فيه ميكا فيلى رؤيته التى تصورها لانشاء دولة قومية موحدة في ايطاليا على غرار ما حدث في بعض الدول الأوربية الأخرى ، وعد نيه الدول فوق كل شيء خاصة وانه كان يعتقد ان مصلحة الشعب مرتبطة بازدهار الدولة وتطورها .

---

(٥) مخطوطة هذه الترجمة كانت موقوفة على مكتبة مسجد سيدنا الحسين ثم نقلت منها الى دار الكتب المصرية حيث حفظت تحت رقم ٤٣٥ تاريخ .

(٦) ترجم هذا الكتاب الى التركية أيضا لعدم اتقان محمد على اللغة العربية .

وعنى كل حال فقد انتشرت آراء ميكا فيللى فى بعض دول أوربا بعد وفاته فى عام ١٥٢٧م حيث حاول بعض ملوك أوربا تطبيقها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ونذكر من هؤلاء ملوك فرنسا وأسبانيا وروسيا وبروسيا الذين حاولوا على فترات متباعدة فى تاريخ بلادهم أن تكون الميكانيكية نبراسا لحكم بلادهم لدرجة أن أصبح اسم ميكا فيللى علما على كل سياسى متشدد لا تقف الاخلاق امامه عندما يقوم باقتراح اقطع الأثام من أجل تحقيق غايته .

ومع كل ذلك فيبقى أن نذكر أن افكار ميكا فيللى يمكن أن تصلح لعصر بعينه ، ولجموعة معينة من الظروف ، ولا يمكن أن تكون نبراسا للحكام على مر العصور .

**ثانيا : دانتي الجيبرى Danta Alighieire ( ١٢٦٥ - ١٣٢١ هـ )**

أما عن الشاعر السياسى دانتي الذى يعد من القيم العالية فى مجال الأدب العالمى فقد كان خير شاهد على نهاية عصر وميلاد عصر جديد خصوصا وأنه عاش فى مفترق الطرق بين عصرين فتأثر بتقاليد العصور الوسطى وساهم فى الوقت نفسه بدور مهم فى إقامة العصر الحديث (٧) .

وقد ولد دانتي فى مدينة فلورنسا عام ٩٦٢هـ / ١٢٦٥ م من أسرة نبيلة فقدت ثروتها وسلطانها وقت ولادته وأصبح حالها متواضعا للغاية ، يضاف الى ذلك أن دانتي فقد والديه وهو لم يكتمل بعد دور الشباب .

وكان دانتي منذ صغره مولعا بسماع القصص ، وقد درس اللاتينية القديمة والم باثار اليونان والشرق القديم وتراث العصور الوسطى فى جامعتى بادوا وبولونيا ، كما درس الفلك والرياضيات والفلسفة وعلوم الدين والى جانب ذلك قام بدراسة الشعر ، وأحب الأدب حبا كبيرا .

---

(٧) يعد المؤرخ المصرى الدكتور حسن عثمان من أبرز الاساتذة المصريين الذين تعرضوا لدراسة دانتي وترجموا العديد من مؤلفاته .

ومن يستعرض حياة الشاعر دانتي يجد أنها تقسم الى ذلات  
مراحل :

المرحلة الأولى وخلالها أقبل على الشعر خصوصا الغزلى منه ، ونبيها  
وصف حبه لمحبوته « بياتريشى » التى رآها فى التاسعة من عمرها  
وتعلق بها وقد ظهر ذلك فى كتابه « الحياة الجديدة » .

المرحلة الثانية : وقد انفردت بتحمسه للعلوم السياسية والفلسفية  
ورغبته فى انقاذ ايطاليا من ويلاتها ونكباتها .

المرحلة الثالثة : ويبرز فيها رغبته فى الاصلاح الدينى والسياسى .

كما تبرز قدراته ونضوجه وينتمى الى هذه المرحلة كتاباه الملكية  
والكوميديا التى سميت فما بعد بالالهية .

وكتاب الملكية وضعه دانتي باللاتينية ودعا فيه الى توحيد ايطاليا  
فى نطاق الامبراطورية وسلطاتها فى أوروبا كما عرض فيه لفنون السياسة ،  
وذكر ان العالم يجب أن يحكم بواسطة سلطتين احدها سلطة البابا  
الدينية ، والاخرى سلطة الامبراطور الزمنية ، وأن كلا من هذين الحاكمين  
يتلقى سلطانه من الله سبحانه وتعالى مباشرة بحيث لا يكون احدهما تابعا  
للاخر ، بحيث يتفرغ البابا للمسائل الدينية . وتوضيح تعاليم  
المسيحية والدعوة الى الخلق الكريم على حين يتفرغ الامبراطور  
للأمور السياسية وتنظيم العلاقات بين الحكومة والمحكومين ،  
وبين الحكومات وبعضها .

وطالب دانتي فى هذا الكتاب أن ينعاون البابا والامبراطور من أجل  
مصلحة الرعية ، وتنفيذ قواعد الاخلاق ، كما يتعاوننا من أجل تحقيق  
الاستقرار والسلام بين كافة الشعوب .

والى جانب ذلك كان دانتي من أوائل من أدرك قيمة وحدة ايطاليا  
السياسية وهن أقواله حول ذلك مؤنبا ايطاليا « يا ايطاليا : أيتها العبدة

الذليلة ، ياسفينة بغير شرع وبغير سلاح وسط العاصفة الهوجاء ، أنظري الى سوادك وأطرافك واجمعها الى صدرك » .

ومن دراسة هذا الكتاب يتضح رغبة دانتي في فصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية ، مما يعنى أنه سبق بهذا التفكير فلاسفة الثـورة الفرنسية ، كما يتضح أنه يتمسك بفكرة الامبراطورية التى تجعل شعوب أوروبا كلها تحت حكم امبراطور واحد ، يكون مقره روما ، وهى الفكرة التى كانت سائدة فى العصور الوسطى مما يعنى أن مشاركته فى ظهور العصر الحديث لا يعنى تخليه تماما عن أفكار العصور الوسطى ، ومما يعنى أيضا اختلافه مع رأى بترارك الذى نادى باستقلال ايطاليا عن الامبراطورية ، وتكوين أمة مستقلة عنها . وقد اتجه دانتي بعد ذلك الى الكتابة بالعامية وهى اللغة التى تكونت منها الابطالية والتى يفهمها الايطاليون ويستطيعون قراءتها والتعبير عن متطلباتهم . وقد عبر دانتي فى كتاباته بالعامية عن العواطف الانسانية فظهرت أمام الناس وكأنها لغة دقيقة التعبير فى كافة الأمور .

كما أنه قام بتأليف مؤلفه الشهير « الكوميديا الالهية » باللمحة التى كانت سائدة فى مقاطعة توسكانا وهى احدى اللهجات التى كانت منشرة فى ذلك الوقت ، مما شجع الشعراء ، والكتاب الآخرين للسير على منواله ، كما أنه نظم قصائده الشعرية بالايطالية والتى من أشهرها « الحياة الجديدة » التى خلد فيها اسم حبيبته بياتريشى **Beatrice** والتى كانت السبب فى تأليفه للكوميديا الالهية .

والدراسات التى تعرضت لدانتي أوضحت أنه على الرغم من أن حبه لبياتريشى قد ملك عليه كل كيانه وجعله يرفعها فوق مصاف البشر فإنه لم يكن متكافئا خاصة وانه كان من أسرة متواضعة على حين كانت هى ابنة أحد اثرياء فلورنسا ، ونتيجة لهذا التفاوت الطبقي بينهما حرم من لقاء فتاته على مسرح الواقع مما دفعه أن يتصورها فى خياله ، وقد زاد من حزنه أنه رآها تتزوج من رجل آخر فى مثل ثراء والدها يدعو « سيمون دابردى » ثم انفطر قلبه عندما علم بوفااتها وهى فى شرح شبابها ومن هنا بدأ يحاول مرافقتها فى خياله فى مرحلة ما بعد الموت فمضى حوالى ثمانية عشر عاما يكتب

حتى هداه خياله الى تأليف الكوميديا الالهية التى تضم حوالى خمسة عشر ألف بيتا من الشعر مقسمة الى ثلاث أقسام وتشمل رحلته الى الجحيم أى جهنم ، والمظهر أى الاعراف ، والفردوس أى الجنة ، وقد صحب معه فى هذه الرحلة الشاعر الكبير فرجيل الذى كان بمثابة المرشد له .

وفى الكوميديا الالهية قام دانتي برحلة خيالية الى عالم الأموات ووصف ما شاهده فيها وصفا بديعا ، فذكر أنه خلال زيارته للجحيم وجد مكتوبا على بابها جهنم ، وعندما دخله رأى الشاعر فرجيل رفيقه فى هذه الرحلة ، وقد شحب وجهه خوفا وفزعاً ، وقد صاروا فى نهر يمتد الى طبقات جهنم وقد وصف نزلاء جهنم بأنهم أرواح الرهبان الذين باعوا صكوك الغفران للناس وغيرهم ممن ارتكبوا الجرائم فى الدنيا ثم انهما بعد ذلك وصلا الى قصر منيف تحوطه أسوار سبعة تمثل الفنون السبعة أو الفضائل السبع ، ثم شاهدا جدولا يختبئ ، وكذلك أرضا خضراء لا تلبث أن تختفى أيضا ، فعندما اقتريا منها لم يريا سوى سطح خزفى أشبه بشيء ميت ، وبعد ذلك شاهد الشاعران أربعة اشباح هم شعراء العصور القديمة العظام « هومير » ، و « أوغيد » ، و « لوكان » ، و « هوراس » ، ولما طلب فرجيل من دانتي أن يقوم بتحية هومير ، يتقدم اليه فيستقبله هومير وسيفه بيده ويحييه باعتباره سادس الشعراء ، وبعد ذلك يستأنف الشاعران جولتهما فى الجنة فيشاهدان عظماء العالم القديم افلاطون وأرسطو ، كما يشاهدان بعض علماء وزعماء المسلمين أيضا أمثال ابن رشد ، وصلاح الدين ، والى جانب ذلك رآيا المسيح جالسا .

وقد قسم دانتي الجحيم الى درجات ، ووضع فى كل درجة مجموعات من مرتكبي الخطايا والعقاب الذى يستحقونه .

وعن المطهر فقد صوره دانتي على شكل جبل مرتفع ، ويوضع فى طبقاته المرتفعة أنواع المخطئين وعقاب كل منهم موضحا أن عقابهم مؤقتة ولفترة محدودة ينقلون بعدها الى الجنة نظرا لأنهم تابوا عن خطاياهم فى أثناء حياتهم .

أما الفردوس فقد وضع فيه دانتي الأتقياء والصالحين التى اتبعوا

قواعد الفضيلة في حياتهم ، وجعل هذا الفردوس على شكل طبقات ترتفع تدريجيا حتى تصل الى الذات الالهية في النهاية .

وتصور دانتي أنه رأى حبيته بياتريشي في الفردوس وارتقى معها في طبقاته الواحدة بعد الأخرى .

ويتضح لمن يدرس الكوميديا الالهية أن صاحبها استمد موضوعاتها من عناصر وثقافات متنوعة من القديم والحديث ومن المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، ومن الاسطورة والتاريخ ، والسياسة والعلم والدين واللاهوت والفلسفة والطبيعة والمجتمع والفن بالاضافة الى أنه استمدعا من ذاته وتجاربه ، كما يتضح محاولات مؤلفها معرفة أسرار ما بعد الموت . ومع أنها تتميز بالطابع الخيالي فان أهميتها ترجع لعمق ما فيها من أفكار استهوت عقول الكثيرين لدرجة أن العديد من الأدباء يفردون لها مكانا مرموقا في الأدب العالمي ، وخاصة وأن صاحبها امتاز بتعمقه في إبراز المعانى الدينية والاجتماعية والسياسية وشتى أنواع المعارف بأسلوب رشيق ، كما تبرز أهميتها في أن صاحبها أول من أثبت صلاحية اللغة الايطالية في التعبير عن كل المعانى الانسانية وما تتطلبه حاجيات الانسان والمجتمع ، ويبدو أن دانتي أراد بكتابة الكوميديا أن يعوض نفسه عما ناله من حباة العسف ونكران الجميل ، وأن يقيم عالما يسوده الحق والعدل والصفاء والحرية والسلام .

وعلى كل حال فلا يستطيع أحد أن ينكر ولا دانتي نفسه أنه استفاد أثناء كتابته للكوميديا الالهية من العلوم الاسلامية التي أعجبت بها أوروبا في ذلك الوقت وسعى اليها زعماء الفكر فيها .

فلدى مقارنة الكوميديا الالهية بما كتبه محيي الدين بن عربي (٨) . واستاذاه ابن ميسرة تظهر مشابهاة بارزة . وفي هذه المتشابهات من الدقة والتفصيل ما يجعل أن التشابه بينهما لم يكن أمرا عرضيا أو توارد خواطرا بل كان من تأثر مباشرة بهذه الكتابات .

---

(٨) صاحب كتاب الفتوحات الملكية وأمير المتصوفة الاسلاميين في

يضاف الى ذلك ان دانتي اعتمد على رسالة الغفران لابي العلاء المعرى ونقل عنها بعض الأفكار وان كان قد عالجها بذكاء ويؤكد ذلك ان هناك روحا مشتركة تتخلل القصتين من ناحية المعنى الاخلاقي المنبثق عن التصوف ، والرحلة السماوية وما ترمز اليه من تجديد النفس بالايمان وممارسه الفضائل الدينية والتأمل في جوهر خالق ملكوت السموات والأرض .

هذا الى جانب ان الترتيب العام للجنة والمطهر والجحيم عند دانتي يشابه تماما ما هو معروف في الثقافات الاسلامية عن الجنة والنار .

يضاف الى ذلك ان تمجيد بياتريشى وهو الغاية الصريحة من الكوميديا به سوابق فيما صدر عن متصوفى الاسلام . من تعابير انجذابية ، نعروس الصوفى الروحية هى الملاك الحارس لحبيبتها ، ومن مكانها الأرفع نرعاه وتقوده الى طريق الفضيلة والكمال ، وبعد موت الحبيب يجدها بجمالها المشرق تنتظر لقياه فى الجنة .

وهذه الصورة عن المرأة نجدها أيضا فى الجزيرة العربية وخاصة عند بنى عذرة فى شمال الحجاز ، ومن هنا نشأت عبارة « الحب العذرى » كما نجدها فى كتاب « طوق الحمامة » لابن حزم .

ويؤكد اعتماد دانتي على المصادر الاسلامية ان عقله كان متفتحا على آراء عصره ، وان عصره كان مشبعا بالعلم والفن الاسلاميين ، وفضلا عن ذلك فانه من المحتمل أن يكون قد تعرف على هذه المصادر عن طريق استاذة « برونيتو لاتيني » الذى عاش فى طليطلة كسفير لنورنسا فى بلاط الملك « الفونسو الحكيم » المتعلق بالحضارة الاسلامية .

والجدير بالذكر ان المستشرق الأسباني أسين سلايوس قد أكد ذلك فى خطاب القاه فى الاكاديمية الملكية الأسبانية فى ٢٦ من يناير ١٩١٩ فاعلن صراحة أن دانتي فى الكوميديا الالهية قد تأثر بالاسلام تأثرا عميقا واسع المدى يتفغل حتى فى تفاصيل تصويره للجحيم والجنة (٩) .

---

(٩) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ ص ٤٩ .

هذا عن إيطاليا ، ودورها في عصر النهضة الأوروبية أما عن ألمانيا فقد تميزت النهضة هناك بالدعوة الى الإصلاح الدينى عن طريق دراسة الكتاب المقدس ومحاربة المفسد التى لحقت بالمسيحية ، وقد تزعم هذه الحركة « مارتن لوثر » ، فاحتج على صكوك الفجران وتعرض لنظام الكنيسة وطالب بإصلاحه ، وقد اكتسحت هذه الحركة معظم الطبقات فى ألمانيا .

وبالنسبة لفرنسا فقد ظهرت بوادر النهضة بها فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت بدايتها فى الجامعات الفرنسية خصوصا جامعة باريس ، وكانت أبرز ملامح عصر النهضة فى فرنسا هى عناية الأدباء بالإبداع القصصى والتحليل النفسى ، وقد تجلى ذلك فى كتابة القمص والمذكرات والتحليل النفسى والخلقى وقد برز من هؤلاء رابليه ومارجريت نافر وبرانقوم ومولوك .

أما عن إنجلترا فقد اتجهت النهضة فيها الى جعل الآداب القديمة فى متناول أيدي المثقفين ، وقد بلغ الانتاج الأدبى ذروته فى مؤلفات شكسبير ، والى جانب ذلك فقد كان للمسرح الإنجليزي دوره فى النهضة حيث قدم العديد من الروائع الأدبية المليئة بالمفاجات والمغامرات وتحليل النفس البشرية وطباعتها .

ومما سبق يتضح أن أبرز نتائج عصر النهضة فى أوروبا هى :

- ١ - اضعاف سيطرة الكنيسة .
- ٢ - انتهاء عصر الاقطاع .
- ٣ - إبراز حرية البحث العلمى وانتهاء سيطرة الكنيسة ، ورجال الدين عليها .
- ٤ - ظهور اللغات الجديدة ، وانتهاء دور اللغة اللاتينية كلفة وحيدة لمعرفة العلوم والآداب الأوروبية .
- ٥ - ظهور الطباعة مما ساعد على انتشار المؤلفات وذيوعها وطبع الكتب القديمة وایجاد وحدة للفكر والثقافة بين شعوب غرب أوروبا .

٦ — اكتشاف العديد من المخترعات التي كشفت الكثير من الأسرار العلمية ، وساعدت على تقدم الانسان .

٧ — بروز دور الجامعات والمدارس وتوقف السيطرة الكنسية عليها ، وقيامها ببعث التراث القديم ، واحياء الحركة العلمية والأدبية بوجه عام ، واقبال عدد كبير من الدارسين على هذه الجامعات

٨ — ظهور حركة الكشوف الجغرافية وأرتياد البحار ، ونجاح الرحالة لأوروبيين في كشف طرق جديدة حيث استطاع فاسكو دى جاما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كما استطاع كولمبس اكتشاف الدنيا الجديدة .

٩ — التنقيب عن الآثار القديمة ودراستها والكشف عن العديد من الآثار الرومانية القديمة وبعثها من مرقدتها .

١٠ — نمو شخصية الفرد وإبراز دوره وما يصدر عنه من أفكار وأعمال وهدم الحواجز التي تمنع النفس البشرية في التعبير عن نفسها .

١١ — ظهور طبقة جديدة من ابناء الشعب تجمعت بين أيديها الكثير من الثروات .

١٢ — خروج الأوروبيين على القواعد الخفية والتعاليم المسيحية وتحللهم من قيودها .

١٣ — الاهتمام بدراسة العلوم المتصلة بالظواهر الطبيعية مثل الجغرافيا وعلم الفلك وذلك في محاولة للتعرف على التضاريس والانساخ والتيارات البحرية ، وغيرها ، والتي كان من نتائجها تمكن العالم الايطالى « جاليليو » في اثبات أن الأرض ليست مركز الكون بل الشمس هي محوره فلذى تدور حوله الكواكب بما فيها الأرض .